مقامات يحيى بن ماري

هو يحيى ابو العباس بن سعيد بن ماري المتوفى سنة ٥٨٩ للهجرة (١١٩٣ للميلاد) بعد وفاة الحريري بنحو سنتين سنة ٥٠ ذكرهُ ابن العبري في كتابهِ سلسلة العرب وقال انهُ كان مقدماً عند الخليفة الناصر لغزارة علمهِ وقال في كتابهِ مختصر الدول وفي هذه السنة (٥٨٩) توفي يحيى ابن سعيد بن ماري الطبيب النصراني صاحب المقامات السبعين صنفها واحسن فيها وكان فاضلاً في علوم الاوائل وعلم العربية والشعر يرتزق بالطب ومن شعرهِ في الشيب

نفرت هند من طلائع شيبي واعترتها سآمة من وجومي
هكذا عادة الشياطين ان ينفر ن اذا ما بدت نجوم الرجوم

وقال القفطي في اخبار الحكماء «هو يحيى بن سعيد بن ماري ابو العباس الطبيب النصراني المعروف بالمسيحي صاحب المقامات السبعين عالم بالطب والادب يطلب بمدينة البصرة في زماننا ادركنا من روى عنهُ فمن روى عنهُ ممن ادركناهُ ابو حامد محمد بن محمد بن حامد ابن آلة الاصفهاني العماد رحمهُ الله ورأينا من الرواة عنهُ البصري المعلم الحصني وكان يروي عنهُ مقاماتهِ وكان للمسيحي هذا معرفة بالادب صادقة وربما امتدح بالشعر اجلاَّء الواردين على البصرة وكان اصلهُ من الطيب من موضع يقال لهُ الدوير وكان فاضلاً في علم الاوائل وعلم العربية والشعر يرتزق بالطب والانشاء وصنف المقامات السبعين واحسن فيها وكان ابوهُ قد تنقل عن الدوير الى البصرة واولد ولدهُ هذا بها . وتوفي ابو العباس يحيى بن سعيد بالبصرة لعشر بقين من شهر رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة »

ويقال ان ليس من مقاماتهِ الآن الاَّ ثلاث نسخ فقط واحدة في الموصل وواحدة في بغداد وواحدة في اوربا . وقد اتحفنا صاحب النسخة الموصلية بمقامة منها وهي الثامنة والعشرون فآثرنا نشرها للدلالة على اسلوب الكتَّاب في عصرهِ ولاسيما كتَّاب النصرانية

المقامة الثامنة والعشرون

قال يحيى بن سلاَّم ما زالت الايام تحملني على غاربها [1] وتدحو [2] بي في مشارق الارض ومغاربها . حتى كأني قِدْحة [3] البعاد ومحل صعبها والعناد . وكنت على تصرُّف الزمان وعدوانهِ . أُرقِّهُ اخاطر بزخارف ابي عمرو وبهتانهِ واتخذ الفكر . بفنهِ المبتكر . وبقيت مدة لا القاهُ ولا اشعر اين مهبطهُ ومرتقاهُ . فتداخلني لبعدهِ ما يعجز عن عدهِ

(١) الكاهل او اعلى الموج (٢) تدفع (٣) اسم نوع من قمد

وخامرني لشموع[٤] تارّج[٥] نشره · ما يتفهقر الغيظ عن نشره · فملكتني في طلبه الحيره[٦] · وقد حللتُ حمى الخيره[٦] · فطفقت اتسم اتباعهُ من الرّواد · واعيان انوراد · حتى وقف بي الاستخبار · على وادٍ محشود الاقطار · وفي جوته[٧] شخص بادي الاملاق · يرمّم الدر بلسان ملاق · وهو يقول يا اولي الافكار · كونوا في الدنيا كالاطيار · لا تزرع ولا تحصد · ولا لطليعة[٨] رزق ترصد · ولا تمدُّ لنصب اشطانا[٩] · تغدو خماصًا وتروح بطانا[١٠] · فالليب من ترك الحرص والطمع · ورضي بالنزر واقتنع · وقهر النفس قهر الاعداء · وجانب الشنع مجانبة الاعداء · وراقب الله مراقبة من رفض الهوى · وملك عنوان التقوى · ومخ المدقع[١١] بموجوده · وغمرهُ بفائض جوده · فطوبى لمن هذّب جوهر قلبه · لمراضي ربه · وصفّى تبر فكره · بحمد الله وشكره · وطهّر رجاسة صدره · في سرهِ وجهره · ورحض درن[١٢] ذنبه · وبدل اجاجه[١٣] بعذبه · فقد دنت القيامة · وما الدنيا بدار اقامة · ثم انشد

طوبى لمن لم يُقدّ طوعًا لمعصيةٍ ... وظل في الخير[١٤] دخّالاً وخرّاجا
ومدَّ طوعًا لما يُرضي الالهَ نهًى ... مجانبًا كل من ماري[١٥] ومن داجى[١٦]
وصيّر الرفق بابًا في مطالبهِ ... وسنّ للزهد في دنياهُ منهاجا
وقابل الشر بالخيرات عن ورع ... وصاغ احسن تقريظ لمن هاجا
ولان حينًا لمن تقسو طبائعهُ ... وخفّض الصوت للعافي[١٧] اذا ناجى
فسيد القوم من اغضى على غضبٍ ... ولا يزال لضيق الخطب فرّاجا
ان الكريمَ الذي راقت موارده ... وعمّ بالجود من واقاهُ محتاجا
ولم يخالجهُ في الافضال معذرة ... وكان وبلاً على العافين ثجّاجا[١٨]
ولم تضمّ على وعدٍ انامله ... فكم امانٍ وهت لطل[١٩] احداجا[٢٠]
فالرزق يأتي ولو قدّرت في طلب ... ولو تعاطيت ثأويبًا[٢١] وادلاجا[٢٢]

---

(٤) بعد (٥) تارج من ارج فاح (٦) الخيره مدينة كانت بنيسابور قرب الكرخة (٧) وسط (٨) مقدمة الجيش (٩) حبال طوال (١٠) ما اتى في الحديث يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانا اي تذهب في الصباح جياعًا · وتعود في المساء ممتلئة البطون (١١) المتقصف بالتراب المهزول (١٢) وضح (١٣) الماء المالح (١٤) جمع (١٥) خاصم (١٦) نازع (١٧) للحاج طالب الرزق (١٨) المطر السيال الشديد الانصباب (١٩) السوف في الوعد (٢٠) الاحمال (٢١) السير في النهار (٢٢) السير في اول الليل

يا صاحب الفهم يا من فاق معرفة ومرّ في طُرُقِ التبيان إبجاجا[٣٣]
لا تركنن الى دهر فشيمتهُ ودأبهُ يدرج الاعمار ادراجا
واصبر اذا كنت في عيش تُسَرُّ بهِ لنازل الروع إزعاجاً وارهاجا
فما استقرت على الايام قاعدة الاّ تعاورها الاحداث إزعاجا
فاتخذ لأخراك ما كلّت مضاربهُ واركب لقطع فيافي الذنب هملاجا[٣٤]
ولا تميّل اذا ما رمت مأربةً فُدِمنْ الطرق ما ينفك ولاّجا
وساهل الناس لا تحزن اذا حزنوا ورُق اذا كدروا واقنع بما راجا
وعج على كل من بانت مرافقهُ مراعياً فوحيد الجد من عاجا
وبعض ما بي دليل انني رجلٌ رمى بي البين احداجا وامواجا
وابتزني من بلاد لم تزل غرضاً للمحتفين ومن فاجي ومن فاجا
قد كنتُ بين اناس كيفما رُصدوا يلفوا بدوراً وهالات وابراجا
من كل قرم اذا ما اظلمت سُبُلٌ للقصد صادفتَ نوراً منهُ وهاجا
فاليوم بُدّلت صُفراً من صلاتهم تبراً ومن دُرّ ما يعطون اخراجا
ومن كسانيَ ثوباً سوف أُلبسهُ من الثنا في الورى وشياً وديباجا
ومن تدارك ما بي من شجىً ودجىً رأساً بأمنعهُ من منطقي تاجا

قال الراوي فحين بهر بالابيات · تحلّى بالصيحات · وبينما ادخل كل منهم يدهُ في وطابهِ · ثم مخهُ بمطائهِ ولطف خطابهِ · فحين احرز الصلات · طلب الانصلات فقمت اليهِ سائلاً · فرأيت وبلاً سائلاً · فحرت فيما نقهُ وحلاهُ · فاستنبت حلاهُ · فاذا بجنب ابي عمرو ورائمه ومفرق نظمهِ ووشائمه · فقابلتهُ بوجه وقاح · وهجو صراح · وقلت أني كل وادٍ لك مكيده · وفي كل اناس تنشيه الاّ وعقيده · فقال لولا القصيده · ما لكت القصيده · وبتر الكلام · وصلت الى الطعام · لولا هزهم بين فارقت · ما جادرا ولو هرقتُ دم الوداجين وارقت · ثم كشف المداجاه · وقطع المناجاه · ومرّ ينشد

ايها الناصح دعني لست بالايام عارف
انما العارف من ينقدها نقد الصيارف

(٣٣) الطرفان في البلاد (٣٤) البرذون الحسن السير في سرعة